حركة العطاف بن سفيان الأزدي قاضي قاليقلا

د. صلاح الدين أمين
كلية الآداب / جامعة الموصل

عند بحثي لاعداد اطروحتي لنيل درجة الماجستير عن موضوع فتح العرب لارمينية شد بصري نص تأريخي اعتمده البلاذري في كتابه « فتوح البلدان» عن فتح هذا الأقليم كتبه اليه العطاف بن سفيان فقال عن أخبار الفتح « والخبر الأول اثبت حدثني به عدة من مشايخ اهل قاليقلا (١) وكتب اليّ به العطاف بن سفيان ابو الأصبغ قاضيها » (٢) ولم يتسن لي الوقت في حينه للبحث عن نشأة هذا القاضي وسبب مجيئه إلى هذه المدينة وكيف تولى القضاء فيها ومتى وماهي الخصائص التي أهلته ليكون قاضياً . وماهي الفترة التي تولى القضاء فيها .

ويبدو من خلال النص التأريخي المذكور آنفاً ان العطاف بن سفيان كان احد الرواة الذين اعتمد البلاذري عليهم عند جمعه اخبار فتوح إرمينية واثبت روايته من خلال ماقدمه اليه من المعلومات المكتوبة ، ولاشك :ان البلاذري لم يعتمد هذا الخبر ويثبته الا بعد تدقيقه وضبطه ومطابقته مع ما وصله من اخبار عن فتوح هذا الأقليم من الأخباريين والرواة ، ونحن لانميل إلى ان سبب اعتماد البلاذري هذا الخبر لان كون صاحبه أحد القضاة وكما

(١) قاليقلا : هي مدينة ارضروم الحالية ، لزيادة التفاصيل عنها انظر : فتح العرب لارمينية ص رسالة ماجستير غير منشورة .
(٢) فتوح البلدان : ص ٢٣٥ .

هو معلوم فان القاضي تتوافر فيه الثقة والعلم والدراية وهي خصائص تعطي لصاحبها مكاناً افضل في المجتمع انذاك . ان ماذكره البلاذري في هذا النص ايضا من ان القاضي العطاف بن سفيان كتب اليه « أي إلى البلاذري» يضعنا امام مشكلة تأريخية أخرى وهي مسألة الكتابة فالمعلومات المتوافرة لدينا ان وفاة البلاذري كانت في سنة ٢٧٩ هـ، وان العطاف بن سفيان ترك الموصل إلى ارمينية سنة ١٨٠ هـ تقريباً بعد ان قاد حركة مناوئة للرشيد امتدت قرابة سنتين تقريباً ، وليس من المعقول ان يكتب العطاف الى البلاذري ، مباشرة عن اخبار الفتح لان الفرق بين هجرته الموصل إلى ارمينية ووفاة البلاذري مائة سنة تقريباً .

وقبل الدخول في البحث لابد من كلمة نقولها حول وظيفة القاضي ، فالقضاء يعد من اشرف الوظائف الادارية في الدولة العربية الاسلامية ، وكان لايتولى هذا المنصب الا فقيه متضلع بالقرآن الكريم والشريعة الاسلامية والسنة النبوية الشريفة وكان الكثير من الفقهاء يكرهون تولي هذه الوظيفة خوفاً من الميل عن جادة الصواب او الحق ، وكانت منزلتهم كبيرة عند الولاة والامراء الذين كانوا يقصدونهم في مجالس القضاء ، إذا احتاج الامر تعظيماً لمكانتهم (١) ولاشك ان هناك شروطاً يجب أن تتوافر فيمن يتولى هذه الوظيفة وهي ان يكون عالماً باحكام القرآن الكريم والشريعة الاسلامية والسنة النبوية الشريفة (٢) فضلا عن الصبر وقوة الشخصية ورصانتها وقوة الحجة وحسن الرأي لاحقاق الحق وتأسيساً على ذلك يمكن القول أن هذه الوظيفة لاتصلح لكل الناس ومن هنا نستطيع الحكم على جوانب من شخصية العطاف بن سفيان ضمن مجتمعه انذاك .

لم تقدم كتب التراجم والمصادر التاريخية معلومات عن مولد العطاف بن سفيان ونشأته مما يدل على أنه كان رجلا عادياً في المجتمع ، كما لم تهتم هذه المصادر به الا بعد قيادته لمحاولة فاشلة للسيطرة على الموصل في عهد الرشيد وينفرد الازدي في كتابه«تاريخ الموصل » تقديم معلومات واضحة عنه ولاشك ان سبب ذلك يعود الى كون الازدي من المؤرخين المحليين الذين اهتموا بالتاريخ المحلي اولا والميل نحوه لانه ازدي مثله ايضاً

(١) أحمد أمين : ظهور الاسلام : ٢٥٠/٢ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : ٨٧/١ ط٧ .

من سكنة مدينة الموصل وقد قال عنه انه كان فارساً من فرسان اهل الموصل «وانه كان» بعهدته اربعة الاف فارس (٢) « كما ذكر انه يملك ضياعاً منها قرية بابودى التي صادرها الرشيد منه وجعلها تجري في الصوافي (٣) وهذه الاشارات التاريخية تعطينا دليلا على مكانة هذا الرجل بين سكان المدينة وانه كان من ملاك الاراضي والقرى الزراعية فضلا عن كونه قائداً لعدد كبير من الفرسان ولكن الازدي لايوضح متى اصبح العطاف قائداً وهل ان هؤلاء الفرسان كانوا من ابناء عشيرته الازد ام انهم كانوا ينتمون ، الى جماعات مختلفة او يمثلون فئة معينة ، كما ان الازدي لم يوضح لنا قدرة العطاف بن سفيان المالية والاقتصادية التي كانت تمكنه من دفع ارزاق او رواتب هؤلاء الفرسان .

ينتمي العطاف بن سفيان الى قبيلة الازد التي سكنت مدينة الموصل قبل الاسلام وهي من القبائل القحطانية التي تنتسب الى الازد بن الغوث بن نبت بن مالك (٤)وقد سار ولد حوالة من الهنو بن الازد الى الموصل فنزلوها(٥)وقد استمر توافدهم مع العرب المحررين لهذه المدينة مع هرثمة بن عرفجة البارقي (٦) كما نقل الخليفة عثمان بن عفان الازد الى مدينة الموصل فسكنوها (٧) ثم نقل الامير محمد بن مروان الازد وربيعه الى الموصل لتعزيز قوته ولاشراكهم في القتال ضد الخوارج (٨) الذين بدأوا يهددون الموصل ، وارمينية واذربيجان ولاشك ان الازد كانت لهم اهمية كبيرة في مدينة . الموصل لكثرتهم ولاسهامهم في حركة العطاف كما يبدو لي .

---

(١) تاريخ الموصل : ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٢) ن.م : ص ٢٨٠ ، انظر أيضاً ابن الأثير : الكامل : ١٤٠/٦ .

(٣) ن.م : ص ٢٨٧ .

(٤) ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب : ٤٦/١ ، انظر ايضاً : السلمان: الموصل في العهدين الراشدي والاموي . رسالة ماجستير غير منشورة : ص ٤٠ .

(٥) اليعقوبي : التاريخ ٢٠٥/١٠ . انظر ايضاً : السلمان : ن.م : ص ٤٠ .

(٦) السلمان : ن.م : ص ٤٠ .

(٧) ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة : ٤٠٣/٣ ، انظر ايضاً : السلمان ن.م : ص ٤٠ .

(٨) اليعقوبي : التاريخ : ٢٧٢/٢ ، انظر ايضاً السلمان : ن.م : ص ٤٠ .

حركة العطاف بن سفيان :

يبدو أن حركة العطاف بن سفيان في مدينة الموصل لم تأخذ مكانتها ضمن حركات المعارضة في الدولة العباسية وفي اعتقادي ان هذا يعود إلى سببين : الأول منهما ان تلك الحركة كانت محدودة جداً لاتتعدى موقفاً معارضاً بسيطاً من قبل العطاف سرعان ماانهار امام العباسيين ، ولهذا لم تأخذ وقعها المطلوب عند المؤرخين ماعدا الازدي بيد انها كانت منظمة سيطرت فعلا على مدينة الموصل وحال انشغال العباسيين بالقضاء على الوليد بن طريف الشاري دون القضاء عليها في حينها فاستمرت لمدة سنتين تقريباً ،

ان المعلومات التي قدمها المؤرخون عن هذه الحركة قليلة جداً وردت بشكل عرضي في أثناء الكلام عن احداث الموصل في عهد الرشيد .

قال الازدي في احداث سنة ١٧٧هـ » وفيها تحالف العطاف بن سفيان الازدي على هارون وكان من فرسان اهل الموصل ، واجتمع اليه صعاليك البلد فجبى الخراج وحبس العمال (١) »وقال في احداث سنة ١٧٨هـ« اخبرني حفص ابن عمرو الباهلي عن الاشياخ قال : كان مع العطاف بن سفيان وقت خلافة هارون اربعة الاف وكان فارساً قال : فمنع عمال هارون من الجباية واستخرج هو المال ، وكان معه عبدالعزيز بن معاوية وبيرونية ومنتصر وغيرهم فأقام على هذا سنين حتى خرج الرشيد الى الموصل فهدم سورها بسببه » (٢) ثم يذكر في احداث سنة ١٧٩هـ وعلى صلاة الموصل وحربها محمد بن عباس الهاشمي وعلى الخراج منجاب والعطاف بن سفيان غالب على الامر كله — على ماذكروا — وعلى قضاء الموصل اسماعيل بن زياد» (٣).

واشار الازدي إلى ان العطاف في حركته اجتمع اليه صعاليك البلد ، ولم يوضح ماهو المقصود بالصعاليك ، هل هم الفقراء المحتاجون ، هل هم الخوارج ، الذين كانوا حول الموصل ، هل هم من الفلاحين الذين كانوا يعملون في زراعة الاراضي

(١) تاريخ الموصل : ص ٢٧٩ ، انظر ايضاً : الكامل : ابن الأثير : ٦/١٤٠ .
(٢) ن.م : ص ٢٨٠ .
(٣) ن.م : ص ٢٨٣ .

والقرى التي يملكها المشاركون مع العطاف بن سفيان ، ام هم جماعة من المرتزقة ثم ان سبب هذه الحركة غير واضح ، هل كانت جزءاً من خطة عامة هدفها التعاون مع الخارجي الوليد بن طريف الشاري الذي وقف امام قوات الرشيد في منطقة الجزيرة في هذا التاريخ ام قامت لسبب اقتصادي يتعلق بمضاعفة الضرائب التي فرضت على الاراضي الزراعية لاسيما في مدينة الموصل اذ غالباً ما كان خراج الموصل يكسر بسبب الخوارج وكانت الضرائب المفروضة على الزراعة العشر مما كان يقع خارج الموصل ويؤخذ بنسبة ٢٥٪ مما كان يقع داخل المدينة والمرج ومابينهما من الحاصل . فطلب هارون الرشيد جماعة من أهل الموصل وناظرهم يحيى بن خالد البرمكي ليجعل عليهم مبلغاً معلوما فلم يستجب اهل الموصل الى ذلك فاضطرهم وقال لهم فيما ذكره المعافى بن شريح الخولاني «كنت فيمن نوظر على ذلك فقال لنايحيى بن خالد : اذا جاءت الغلات نصبتم قصبة وجعلتم على رأسها خرقة وأخذتم الغلات وقلتم فعل المارق ، والله لأفار قتموني الاعلى أمر بين وعلى ماتؤدونه كان مارق اولم يكن واضطرهم الامر الى ذلك وحبسهم ثم عاودهم المناظرة وسألهم الجريب البذر في كم يقع من المساحة فا علموه ان الجريب يقع في أربعة أجربة مساحة وثمن الجريب من الحنطة في وقته فبلغ ثلاثين درهماً واخذ ربع الثلاثين فاذا هو سبع دراهم ونصف فألزمها الجريب وسألهم عن جريب الشعير في اربعة مشايخ فعلم انه يدخل اربعة مثل الحنطة لانهم عرفوه ان دخل الجريب «اربعة أجرية» وقوم الشعير فبلغ الجريب في ذلك الوقت عشرين درهماً فأخذ ربعها فصار لكل جريب خمسة دراهم»(٢) ويبدو ان مقدار الضرائب ، التي فرضت على مدينة الموصل ونواحيها كان كبيراً جداً إذا ماقورن بالمبلغ او الكمية المقررة سابقاً وكان للعطاف بن سفيان أراضي وقرى خارج الموصل مع بعض وجوه أهلها مثل بيرويه ومنتصر والمعافى بن شريح الذين وقفوا مع العطاف في حركته ، وكان الرشيد قد أمر بمصادرة ضياعهم وممتلكاتهم (٣) ولاشك ان الزامهم بدفع هذه المبالغ

---

(١) الأزدي : تاريخ الموصل : ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .
(٢) ن.م : ص ٢٧٦ .
(٣) ن.م : ص ٢٨٧ .

سنوياً فضلا عما كانوا يدفعونه للخوارج يلحق ضرراً كبيراً بوارداتهم سنوياً لهذا فقد وقف العطاف مع اهل الموصل من الذين تضررت مصالحهم موقفاً من الدولة العباسية وخليفتها هارون الرشيد ولم يوضح المؤرخون كيفية سيطرة العطاف واصحابه على مدينة الموصل ، وكيفية تحالفه معهم ، وهل لاقى مقاومة من انصار السلطة في المدينة وماهو موقف والي المدينة وقاضيها من هذه الحركة ، وكيف تمكن العطاف من جباية الخراج لمدة سنتين كما ذكر الازدي وهل من المعقول ان يحبس عمال الرشيد مدة سنتين ؟

ويبدو ان الازدي قد غالى في عرض موقفه من حركة العطاف بن سفيان ، فهو لايمكن ان يسيطر على مدينة الموصل وهي تعد من المدن المهمة لمدة سنتين ويحبس عمالها ، وقاضيها والرشيد ساكت لايتخذ الاجراء المناسب لردعة وهو الذي قاد جيشه الى بلاد الروم محققاً الانتصار الساحق عليهم في هرقلة (١) ثم ان هذه الرواية لايوردها المؤرخون المتقدمون الاخرون مثل البلاذري والطبري وخليفة بن خياط ويشير الجومرد الى أن يزيد بن مزيد بقي مدة (٤) سنوات ١٧٩ــ ١٨٣ ه دون قتال لان الاوضاع كانت هادئة ومستقرة ولايوجد مايعكر صفو الامن (٢) فلو كان هناك منطقة خارجة عن سلطة الخلافة في اقليم الجزيرة لقاتلها يزيد بن مزيد

القضاء على حركة العطاف :

في سنة ١٨٠ه قرر الرشيد التوجه الى مدينة الرقة مروراً بمدينة الموصل للاستقرار فيها ابتعاداً عن دائرة البرامكة،وكان معه يزيد بن مزيد الشيباني (٣) وتشير الاخبار الى انه سمع بموقف اهل الموصل وهددهم قال الازدي «وبلغ اهل الموصل عن هارون الوعيد ونما اليهم انه حلف ان يقتل اهلها ، فلما بلغ مرج جهينة ونزلها خرج اليه نفر من وجوه اهلها ومن كان بها من اهل العلم ، وخرج من الانصار جماعة منهم العباس بن الفضل ، ابو الفضل الانصاري وهو صاحب المسجد الذي على النهر وكان فقيهاً محدثاً وغيره من

(١) ن.م : ص ٣٠٩ .
(٢) يزيد بن مزيد الشيباني : ١٨٢ – ٢١٠ .
(٣) الجومرد : يزيد بن مزيد الشيباني : ١٨٢ – ٢١٠ .

من اهل الموصل من الانصار . وخرج موسى بن المهاجر وكان من اصحاب الثوري محدثاً فقيهاً موصلياً وسعد الفقيه وعتيق الفقيه وغيرهم ، فلقوا ابا يوسف القاضي الانصاري وكان مائلا الى اهل الموصل» . (١) ويبدو ان ابا يوسف وقف موقفاً النصح لاهل الموصل عندما اشار عليهم ان على الناس اذا جن الليل ان يصعدوا على سطوحهم ويجهروا بالاذان لعشاء الاخرة كي يسمع الخليفة آذانهم وسمع هارون الرشيد الاذان ، واخذ يبحث عن مخرج من يمينه فأشار اليه ابو يوسف ان يدخل المدينة ليلا فلا يجد من يقتله من اهلها ، ولايجب ان يقتل من لايرى» (٢) ودخل المدينة ليلا كما رسم له أبو يوسف فدار في اسواقها ومحلاتها وشوارعها فلم يلق الارجلا اورجلين فقتلهما وامر بهدم سور المدينة ، ونادى مناديه من هدم مايليه من السور فهو آمن ، فهدم الناس سورهم بايديهم (٣)

اما العطاف بن سفيان فقد انسحب من مدينة الموصل متوجهاً الى ارمينية بناء على طلب من وجوه اهل المدينة وصلحائها وكان قد تجهز عندما سمع بقدوم هارون الرشيد الى الموصل على نية مقاتلته عند مرج جهينة واستئصال قواته ، فخرج العطاف بن سفيان في اربعة الاف من جنده إلى ارمينية (٤) . ويبدو انه اختار هذا الاقليم لبعده عن مركز الأدارة العباسية اولا ولظروفه الطبيعية والجغرافية وبعد دخول الرشيد مدينة الموصل عادت الامور الى مجراها الطبيعي وعزل قاضيها اسماعيل بن زياد واتهمه ان هواه كان مع اهل الموصل. (٥) واميرها محمد بن العباس الهاشمي عن الحرب والصلاة ومنجاب عن الخراج ، وولي يحيى بن سعيد الحرشي الحرب والخراج ثم امر مناديه أنه أمن الاسود والأبيض الا العطاف بن سفيان وعبدالعزيز بن معاويه بن جابر الذي هرب الى مكة (٦) والمعافى بن

(١) الأزدي : تأريخ الموصل : ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .
(٢) ن.م : ص ٢٨٥ .
(٣) ن.م : ص ٢٨٥ أنظر ايضاً : الطبري : ٦٤٥/٢ ، ابن الاثير : الكامل : ١٥٢/٦ ابن كثير : البداية والنهاية : ١٧٥/١٠ مع اختلاف بالتفصيل .
(٤) الأزدي : تاريخ الموصل : ص ٢٨٤ ، انظر ايضاً ابن الأثير : الكامل : ١٥٢/٦ .
(٥) ن.م : ٢٨٨ .
(٦) ن.م : ٢٩٢ .

شريح وبيرويه الرحبي ويعلى الثقفي ، وماوقع في يد الرشيد غير المعافى بن شريح ، الاانه أمسك عن قتله وذلك تحسباً من اليمانية الذين كلموه فيه فحبسه لمدة سنة (١) ثم ، صفّى ضياع العطاف بن سفيان وضياع بيرويه ومنتصر وجعلها في الصوافي وتعامل معاملة الضياع (٢) .

ونتيجة لموقف اهل الموصل من الخليفة هارون الرشيد فيما يبدو فان الحرشي قد عسفهم عسفاً شديداً وطالبهم بخراج سنين مضت مما جعل معظمهم يهاجرون الى اذربيجان فقد رحل اهل باسحاق من بني الحارث بن كعب الى اذربيجان وخربت وكانت مدينة كما رحل اهل « القادسية» ، من رستاق الخازر واهل قرى غير هذه وآخرب « سطرنيه «ورستاباد» وهاعله وباتلي » وغيرها من القرى ، فضرب الناس مثلا وقالوا : لم يرضوا بمنجاب فجاءهم الحرشي ؟ (٣)

وهكذا أتم الرشيد طي صفحات هذه الحركة التي استمرت سنتين تقريباً واعاد مدينة الموصل الى حضرة الدولة العباسية .

---

(١) ن.م : ٢٨٦

(٢) ن.م : ٢٨٧

(٣) ن.م : ٢٨٧

مصادر البحث :

ابن الأثير : عزالدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ت (٦٣٠هـ – ١٢٢٣م) .

– اسد الغابة في معرفة الصحابة – المكتبة الاسلامية – طهران .

– الكامل في التاريخ : دار صادر ؛ بيروت – ١٩٦٥م . ١٢ جزءاً .

– اللباب في تهذيب الانساب : طبع مكتبة المثنى – بغداد .

الازدي : الشيخ أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدي

– تاريخ الموصل . تحقيق الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ١٩٦٧ .

البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت/٢٧٩هـ)

فتوح البلدان : تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد القاهرة ١٩٥٧

احمد امين ضحى الاسلام : ٣ أجزاء

الطبعة الأولى / القاهرة

الجومرد : عبدالجبار الجومرد

يزيد بن مزيد الشيباني – منشورات دار الطليعة – بيروت ١٩٦١

حسن : د. حسن ابراهيم حسن

تاريخ الاسلام السياسي والاجتماعي والثقافي والديني : ط٧ القاهرة ١٩٦٧

أمين : د. صلاح الدين أمين

فتح العرب ارمينية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب بغداد / ١٩٧٠ .

ابن كثير : البداية والنهاية : ١٤ جزءاً . مكتبة المعارف – بيروت . ط٢ ، ١٩٧٧ .

الطبري : محمد بن جرير

تاريخ الرسل والملوك

ليدن ١٨٨٣ ، ٣ أقسام ١٥ جزءاً .

اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح

تاريخ اليعقوبي – دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .